

الجامعة المستنصرية/كلية الآداب-قسم التاريخ

محاضرات التاريخ السياسي للعصور الوسطى الاوربية/ المرحلة

الأولى-الفصل الدراسي 2018-2019

مدرس المادة: د. ثامر مكي علي

المحاضرة الثانية عشر/

- شارلمان: (768-814)

مما لا شك فيه ان حكم شارلمان يعتبر فاتحة لعهد جديد متميز ليس بالنسبة لتاريخ الفرنجة فحسب، بل بالنسبة لتاريخ أوروبا كلها. لقد جاء شارلمان ليضع اللمسات الاخيرة لعملية الصهر والاندماج للعناصر الجرمانية والرومانية في وسط وغرب أوروبا. والى جانب هذا كان شارلمان مواظباً على سياسة الفرنجة التقليدية في التوسع، بعد ان اخذت لها ابعاداً جديدة وهدفاً واضحاً يتلخص في ضم جميع العناصر الجرمانية في أوروبا وصهرها في دولة واحدة. وادى اندفاع شارلمان في تنفيذ هذه السياسة إلى تقدمه في اراضي جديدة كانت حدودها ملاصقة لشعوب اخرى غير جرمانية مثل الشعوب السلافية والمجريين والبلغار والبيزنطيين والعرب. كما استمر شارلمان في اتباع سياسة الفرنجة التقليدية الخاصة بتعزيز التحالف والتعاون مع البابوية. والحقيقة ان الاسس لأوروبا الرومانية الجرمانية المسيحية اليت ارسيت قواعدها منذ قرون عديدة قد اخذت تظهر ملامحها بشكل واضح وجلي في هذا الوقت.

- حروب شارلمان:

وعهد شارلمان عبارة عن سجل للحروب المتواصلة التي استمرت طيلة سني حكمه دون توقف. وكان هدفه من تلك الحروب حماية الحدود ودفعها وضم عناصر جرمانية جديدة اليها ونشر المسيحية بين الشعوب الوثنية. وقد تكون انجازاته الحربية هي التي اكسبته لقبُ العظيم. وقاد شارلمان بنفسه أو بانتدابه احد ابنائه أو ضباطه

خلال حياته ما لا يقل عن اربع وخمسين حملة. كان خمس منها ضد اللمبارديين، وثمانية عشر ضد السكسون، واربع ضد الافار، واربع ضد السلاف، وسبع ضد المسلمين في اسبانيا وجنوب فرنسا، واثنان ضد البيزنطيين. وكان امرا استثنائياً ان يسجل في احداث عام 790 لاتوجد حرب لهذا العام.

كانت أول حروب شارلمان ضد اللمبارديين، فقد جدد هؤلاء تهديداته للولايات البابوية. فسار شارلمان إلى ايطاليا وحاصر عاصمتهم بافيا، وقضى على جميع دوقياتهم ثم اعلن نفسه ملكاً على اللمبارديين، فصار لقبه الرسمي ملك الفرنجة واللمبارديين والرومان ثم واصل شارلمان فتوحاته في ايطاليا فضم فينيسيا وساحل دلماشيا وجزيرة كورسيكا وصارت حدوده في هذه الناحية محاذية للامبراطورية البيزنطية. وخلال محاصرته إلى بافيا عام 774 غادرها إلى روما للاحتفال بعيد الصبح هناك. فكان أول ملك فرنجي يدخل روما، وقد استقبل فيها استقبالاً حافلاً وهناك اقر (منحة ببين) وان قيل انه اقتطع جزءاً كبيراً منها.

وعلى الرغم من اعترافه بالولاية البابوية فانه لم يترك مجالاً للشك والالتباس بأنه حاكم الرومان وحامي المدينة المقدسة والسيد الفعلي لها. لقد كان على البابوات ان يصغوا اليه وهو يأمر البابا كما يأمر أي اسقف أو حاكم في مملكته. فبالنسبة إلى شارلمان لا يتميز البابا الا بالوضع التقليدي الرفيع لكنيسة روما. وان سيادة شارلمان على الكنيسة لم تكن موضع جدل وخلاف. لقد كتب مرة إلى الباب قائلاً انه من اختصاص الملك ومن واجباته المهمة الدفاع عن كنيسة الله المقدسة وحمايتها بحد السيف وتثبيت العقيدة الكاثوليكية وواجبالاب المقدس - البابا - مؤازرة الملك ومساندته في جهوده هذه بصلاته ودعائه له واتباع وتطبيق قانون الكنيسة وشرائعها دع حياتك ايها الاب المقدس تكن مثلاً للقدسية، دع فمك لايفتح الا وينطق بالحكمة والنصح المقدس. وقد لاتكون نظرة شارلمان إلى وظيفة البابا هذه موضع ارتياح من البابا، ولكن قوة شارلمان وشخصيته اللامعة لم تدع للبابوات في عهده مجالاً للجدل والاعتراض بأي شكل من الاشكال.

وكانت حملات شارلمان التالية على البافاريين وانتهت تلك الحملات بدحر هؤلاء
وضم اراضيهم كلها إلى مملكة الفرنجة. ويضم شارلمان بافاريا لاسمت حدود مملكة
الفرنجة الافار في الدانوب الادنى.

ولعل اهم حروب شارلمان واكثرها قسوة ومرارة هي تلك الحروب التي شنها على
السكسون، والواقع ان هذه كانت اعنف الحروب التي خاضها الفرنجة خلال تاريخهم.
ولم يسبق لهم ان قاموا بحرب بمثل هذه الجدية والقسوة، وتطلبت منهم مثل تلك المثابرة
والجهد الكبيرين. ذلك ان السكسون، شأنهم شان بقية الشعوب الجرمانية الأخرى، كانوا
محاربين اشداء، وكما وصفهم اينهارت مؤرخ شارلمان حلفاء مخلصين لشيطان الحرب،
معادين للدين لا يرون ما يعاب عليهم في تجاوزهم القوانين السماوية والبشرية. ولم يكن
هدف شارلمان من حربه مع السكسون حماية حدود مملكته فحسب، بل كان يرمي من
ورائها ايضاً فرض الديانة المسيحية بالقوة العسكرية على السكسون، وكان هؤلاء بحر
من تبقى من الشعوب الجرمانية لا يزالون محتفظين بالديانة الوثنية.

لقد ركز الفرنجة لمدة ثلاثين عاماً جهودهم وصبوا جيوشهم في سكسونيا. وقاد
شارلمان بنفسه عدداً كبيراً من الحملات ضد السكسون، وكانت القسوة هي الطابع المميز
للصراع بين الفرنجة والسكسون.

يكفي ان يذكر هنا انه في يوم واحد فقط قطع الفرنجة رؤوس 4500 من
السكسون في فردان عام 782. وهجر شارلمان عشرات الالوف من السكسون وانتزع
اراضيهم ومنحها لبقية الشعوب الجرمانية.

وبعد ان حقق شارلمان النصر النهائي في سكسونيا، وانهارت تماماً مقاومة
اهلها، نظمت شؤونها وثبت وجود الكنيسة المسيحية فيها. وحوالي عام 782 اصدر
شارلمان مرسوماً اعطى بموجبه الخيار للسكسونيين بين المسيحية والموت. وفرض
عليهم عقوبة الموت لاي تجاوز على الكنيسة بأي شكل من الاشكال. وخضع السكسون
لهذه القسوة، ولكن الاساقفة بقوا لمدة طويلة يشكون من ميل الناس في سكسونيا إلى
الوثنية والى عبادة الهتهم القديمة. على اية حال، ادت هذه السياسة القاسية إلى جر

السكسون والى دمجهم في العالم الأوربي. كما ادى توسع الفرنجة في سكسونيا إلى وضعهم إلى جوار السلاف.

وباحتلال اراضي اللبارديين والبافاريين والسكسون، اتم شارلمان العمل الذي بدأه كلوفس، فقد ضمت جميع الشعوب الجرمانية إلى مملكة الفرنجة ولم يبق خارجاً عنها سوى الانكليز والسكسون في الجزر البريطانية، ولشعوب الاسكندنافية .

وفيما وراء حدود الأراضي التي كان يقطنها السكسون والبافارون واللبارديون انطلقت جيوش شارلمان لتقيم الماركات أو ولايات الحدود. وهذه الماركات كانت في الواقع نقاط حماية ودفاع في وجه الشعوب الأخرى المجاورة لمملكة الفرنجة في حدودها الجديدة وكانت في الوقت نفسه نقاط انطلاق وتغلغل في اراضي تلك الشعوب. ومن هذه الماركات المارك الداني وهو اصغر الماركات التي اقامها شارلمان وهو عبارة عن برزخ يفصل بين السكسون وبلاد الدانيين اقيم لمنع هؤلاء من تقديم المساعدة إلى السكسون خلال صراع هؤلاء المرير مع الفرنجة. ومن هذا المارك الداني اشتق اسم الدانمرك. واقام شارلمان ماركا آخر شرق سكسونيا حيث السلاف وجعل مركزه مجد برغ (Magdberg) وسمي هذا بالمارك القديم. واستمر تقدم الفرنجة شرقاً بعد فتح بافاريا، حتى بلغوا حدود هنغاريا الحالية، حيث شعب الافار. ولحماية بافاريا وايطاليا من هجمات الافار، أقام شارلمان المارك الشرقي في ادنى الراين. وكما ذكرنا ان الغرض من جميع هذه الماركات لم يكن دفاعيا فحسب بل كانت كلها مراكز انطلاق للفتح والاستعمار. وكانت هذه نقطة البداية لحركة التوسع الجرمانية جهة الشرق.

وباقامة المارك الاسباني في الجنوب والمارك البريتاني في الغرب اتم شارلمان سلسلة الماركات حول امبراطوريته الواسعة. لقد حققت مملكة الفرنجة توسعاً في كل الجهات. وكانت تحتاج إلى حماية خاصة من المسلمين. فعبرت جيوش شارلمان جبار البرنس ولكنه حملته الأولى انتهت بكارثة رونسفو تركت اثارها في الادب الشعبي، حيث نظمت في تمجيدها عدة ملاحم من اشهرها ملحمة رولاند.

